بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التطبيق العملي للتقوى ::: جارحة الأذن

- الحمد لله المتفضل، الحمد لله المنعم، الحمد لله الستار، الحمد لله الغفار، الحمد لله التواب، الحمد لله المعطي، الحمد لله العفو، الحمد لله الغفور، الحمد لله القريب، الحمد لله القريب، الحمد لله المجيب، الحمد لله الودود، الحمد لله الشكور، الحمد لله الصبور، الحمد لله الغني، الحمد لله القوي.
- الليلة نأخذ فصلاً آخر من فصول تحقيق معنى التقوى في النفس والأسبوع الماضي أخذنا كيفية التعامل مع العين وكيف يضبطها الإنسان وكيف يتقي الله في التعامل معها.. والليلة نأخذ الأذن التي تعتبر باباً واسعاً من الأبواب التي تصل إلى القلب فلنستمع إلى ما يقوله الإمام الغزالي في هذا الباب إن شاء الله.
- يقول الإمام الغزالي في كتابه منهاج العابدين: "الفصل الثاني الأذن، فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول....."
- كلام في ظاهره بسيط، يحتاج إلى أن ننتبه لكلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، بالنسبة للأذن، يقول السلف للقلب بابين، العينان والأذنان، (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً).
- السمع، فالأذنان جعلهما الله عز و جلّ باباً للقلب، لأن الأذنين لهما خصوصية تختلف عن العين، لأن الإنسان ربما يكون أعمى ولكن يستطيع أن يسمع، فبسمعه يستطيع أن يسمع عن الله عز و جلّ.. يستطيع أن يسمع عن الإسلام.. عن الدعوة إلى الله عز و جلّ، بخلاف لو كان أعمى وأبكم أو أصم، فإنه لا يستطيع لا يعرف شيئاً.
- صار السمع أقوى من البصر، باب السمع أقوى معرفة من البصر، تجد أن الكثير من حفظة القرآن في مصر وغيرها كثير منهم ذهبت أبصارهم وقويت بصائرهم، حفظهم أقوى من صاحب السمع والبصر، قالوا لأن السمع إذا استخدمها الإنسان استخداماً جيداً عوّض له ما فقد من الجوارح.

- لذلك جعل الله عز و جلّ آلة السمع هي الآلة الوحيدة التي يتصل بها الإنسان بعالمه الخارجي، النائم يدخل عالم الروح، يبقى متصلاً بعالم الحس عن طريق سمعه، إذا أردت توقظ نائماً فناديته يا فلان، يستيقظ!
- وكذلك الميت عندما يموت ينقطع عن عالم الدنيا يكون في قبره ولكن سمعه يسمع (إن الميت ليسمع قرع نعال أصحابه) يكون مرتبطاً بعالم الدنيا.
- اللهم قوِّ أسماعنا وأبصارنا في طاعتك..
- كذلك عن طريق السمع يستطيع الإنسان أن يكون متصلا بعالم الآخرة وذلك أن الميت وضع في قبره وجاء يوم القيامة.. كيف يقوم الناس من قبورهم؟ (إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)، فيصيح سيدنا جبريل صيحة والعياذ بالله يسمعها أهل القبور، مثل ما يوقظ النائم، نسأل الله عز و جلّ أن يعافينا واياكم من ذلك في خير ولطف وعافية.
- كذلك حاسة السمع أو آلة السمع تحتاج إلى انتباه.. تختلف حاسة السمع عن العين واللسان، العين لها باب هما الأجفان، واللسان له باب من خلال الشفتان، لكن الأذنان مفتوحتان، لابد ستسمع ستسمع.
- هنا يقول الإمام الغزالي: "عليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول" ثم ذكر الأسباب.

❖ القسم الأول: أن تحفظ أذنك أو سمعك عن الكلام الذي يؤدي إلى الكفر، وهذا مهم جداً.. نحن نعيش في زمن تسمع في الفضائيات في الإنترنت سبّ للذات الإلهية والعياذ بالله عز و جلّ، انتقاص لرسول الله ﷺ، والعياذ بالله، انتقاص للإسلام والعياذ بالله، لا حياء ولا أدب، لم يكن ذلك معهوداً من سنوات قريبة، حذار حذار أن تلقي بسمعك فإن ذلك ظلمة.

- الكلام الذي يخرج من قلب مظلم هو كلام مظلم، صادف سمعاً يتلقاه، فإن الظلمة تدخل.
- واحد يقول أنا لا أؤمن بهذا الشيء، أعلم أنه سفيه وكافر يسب، ولكن إن أنت أدخلت الظلمة إلى قلبك من يتلقاها؟ الشيطان!
- فيبدأ يحوم حول تلك الشبهة فيُورد عليك ألوفاً من الخواطر، صواريخ على قلبك، أنت الذي أذنت بذلك فتحت ملف الفيديو بدون غرض شرعي، أما إن كنت من الدعاة تجلس على كرسي الدفاع عن الإسلام فلا بأس، ولكن فقط تسمع لتقول الله يلعن هؤلاء، لا تقتحم إلا أن تكون داعياً وتخصصك ذلك فعندها فلا بأس بذلك، حذار.. الشيطان يوقع الشبهات في القلب.

- يقول الله تعالى: (إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذا مِّثْلُهُمْ) وفي آية أخرى (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) كلام الكفر أنت لا تعتقده إلا أن الشيطان يحتفظ به عنده بحيث إذا جاءك والعياذ بالله الموت ولم تكن مُلاحَظاً بعين عناية الله، حضر وألقى تلك الشبهات وأنت في حالة النزع.
- (وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ).
- (فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) ومن هنا تعلم لماذا أن الإسلام لا يحبذ الاختلاط بالكفار.. هذا زميلي وصديقي، ويروحون رحلات واجتماعات لغير غرض وفقط سوالف، فيه ظلمة، هذا الكلام الذي يقولونه يؤثر فيك ولو في باطنك، إلا لغرض شرعي.. تكون على حرص (وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ).

❖ القسم الثاني المنهي عنه: سماع المعصية بشكل عام، ومن جملة ذلك وخاصة ثلاثة : الغيبة ، النميمة، والكذب.

- حذار أن تلقي بسمعك لسماع الغيبة فأنت مشارك لا تقل لا يخصني، ما دام تستمع يغتابون فلان وأنت تنصت فأنت مشارك لهما إلا إذا منعتهما أو أنك تغادر المجلس الذي هم فيه.
- إذا سمع الإنسان غيبة مسلم ولم يدافع عنه يقال له يوم القيامة سمعت يتكلم عن عرض أخيك ولم تدافع عنه، من معاني الأخوة أن تدافع عن عرض أخيك.
- العِرض أي شيء يختص بشخصية الإنسان، سيارتك بيتك ثيابك أغراضك هذه كلها تسمى عرض هذا الإنسان، فإذا سمعت فلان سيارته موديل قديم ربما كلام بسيط لكنه يعتبر غيبة.
- يتكلم عن جنسية الإنسان، ومنها يدخل النكت، التي تقال.. في واحد يذكر اسم البلد الفلاني ما ذكرنا اسم شخص، أنت اغتبت الدولة كلها!!!
- تؤثر في الإنسان كلما شاف واحد من أصحاب البلد، صار تقرير لكل شخص من هذا البلد!
- تطورت النكت، واحد محشش، هذا خطير يسمع أبناؤنا "محشش" ينتابهم شخصية جميلة، الذي يتناول المخدرات صار شخصية فكاهية لها مكانتها، لابد أن نعي ما الذي يدور عندنا ولا نستهين بأي شيء.
- وتحفظ سمعك من الكذب، لأن عندما تسمع الكذب إنما ذلك يغرس في قلبك بذرة الكذب، والله تعالى عندما ذكر بني اسرائيل ذكرهم بصفتين (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) الربا والحرام.

- معظم ما يلقى أو يذاع في التلفاز أكثره كذب، المسلسلات كلها كذب.. تمثيل إنتاج.. إلى آخره.. الممثل فيها يسمى بغير اسمه الحقيقي، هذا كذب!
- تصور معظم سكان الأرض يومياً يجلسوا على التلفاز ويشاهدوا كذب ويسمعوا كذب على مدى سنوات، وأفلام الكرتون هذا كله كذب، أفلام خيالية يعني كذب.
- كذب مع كذب مع كذب، يقول النبي ﷺ: (وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) يسمع كذب ويشاهد كذب ويعيش حياة كلها زيف خداع خيال ثم يأتيه الشيطان المسألة كلها كذب ما في إله ولا دين ويوقعه في المطب.
- (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) انتبه لا تكن مثلهم صاروا كذابين ومكذبين الله يحفظنا وإياكم من ذلك.
- ولاحظ في الآية قدّم سماع الكذب على أكل السحت، لما فيه من شر وضرر شديد.
- الشيطان يستغل هؤلاء الناس يعيشون على العالم الافتراضي والخيال والعالم الغير صحيح ثم يتمكن منهم الشيطان حتى يكذبهم في وقائع الدين وعالم الغيب وعالم الملكوت في تعاون مع شياطين الإنس والجن، الذي يدس هذه المواد هذه في عالم الميديا شياطين (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا).
- إذا جاءك الشيطان يقول ما في كذا وهذا كلام غير صحيح، لو فرضنا كل هذا كذب، أنت بالنسبة لي أكذبهم قال لك هذا كذب، الكذب منك، فأنت خلينا نشوفك حتى أصدقك.
- النبي ﷺ أعطانا توجيهاً إذا جاءنا الشيطان يقول: من خلق السماوات؟ من خلق الله؟ فقل (آمنت بالله ورسوله) يذهب.
- احفظ سمعك عن الكذب.

❖ القسم الثالث: تحفظ سمعك عن الخنا: الكلام الفاحش، بلغة أفصح الكلام الذي فيه إثارة للشهوات.

- الآن الأغاني واضح تريد أن توجه رسالة إلى الناس أن يعيشوا في عالم الشهوات والغرائز والسقوط في براثن الفتن بحيث يكونوا عبيداً لشهواتهم.
- (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا) فالاستماع إلى الكلام الساقط إن صح التعبير الخليع الماجن في صورة أغاني، أو في صور سماع

لا يليق بالإنسان، هذا الذي يسمع هذا الكلام أو شيء من هذا العبارات يورث في قلبه شجرة النفاق، وشجرة النفاق إذا نبتت فإن نباتها شوكٌ ورائحتها نتنة فكيف يمكن لمعاني القرب من الله أن تقترب منك ورائحتك نتنة.. شوك تجرح كل من يقترب كلما هبت نسائم القرب مزقتها شجرة النفاق في القلب وأنت الجاني على نفسك.

- احذر من الاصغاء.. ونحن نعيش في زمن يسمع الناس من هذا القبيل الكفر سماع مع مشاهدة إذا اجتمع الاثنان يشاهد ما يفتن ويسمع كذلك فهي طامة كبرى غزو على قلبك المسكين.. يحفظ سمعه من ذلك الأمر ولا يستسلم لهذا الأمر.
- جاءت الشريعة وبينت أنه ينبغي للرجل وخاصة في التعامل مع المرأة أن يكون على حرص شديد، لا يسلم على الشابة، لا يسلم عليها حتى لا يلجئها ترد عليه في السلام في بعض المواضع الفقهية وقال تعالى بالنسبة للنساء (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) يطمع إلى فتنة، (وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفًا)، كلام رسمي، ما في كلام خارجي،
- الله يثبتنا وإياكم.. الآن المجال المفتوح صداقات وزمالات وتقول الواحدة قلبي طاهر، ولدتم على الفطرة سيزرع الفتنة في قلوبكم يقطع هذا الإنسان عن نفسه ولا يسمح تسترسل في هذه الخطابات الله يثبتنا وإياكم ان شاء الله تعالى.
- لذلك يستحب للمرأة خاصة إذا كان صوتها رقيقاً إذا التجأت أن تتخاطب مع الرجال أو كذا، ان تضع يدها على فمها بحيث يخشن صوتها أو يغلظ حتى لا يكون فيه شيء النقاب مثلاً، أو تضع وشاحاً أو شيء بحيث يخشن الصوت من وراء حجاب أو الغطاء وهذا من الحرص الشديد.. فالله يهدي شبابنا وبناتنا.

❖ القسم الرابع تحفظه عن الفضول وهو الكلام الذي لا فائدة منه ويسمى اللغو غالب الناس قيل وقال وإيش حصل.. كلام في الدنيا في ما لا يعني، إيش سوا فلان مش شغلك! أتريد أن تساعده؟ بس خلينا نشوف تكون عندي معلومات.

- الإنسان يحفظ سمعه عن الكلام اللغو لأنه 1- يضيع وقتك، 2- يظلم القلب.
- أحيانا المولى عز و جلّ عند ذكر أهل الجنة يذكر يصف ما أعده لهم، غالباً من النعيم الطعام والشراب هذا واحد، وأحيانا يصف حالهم في الجنة.
- عندما يصف لك القرآن حالة أهل الجنة، كان مترتباً على حالهم في الدنيا (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلا سَلامًا سَلامًا) هذا وصف حالهم، لا يسمعون فيها أي في الجنة، لغواً ولا تأثيما

كوفؤوا لأنهم منعوا أسماعهم، لا يسمعوا لغواً ولا تأثيما ما كانوا يرمون بأسماعهم في كلام الإثم، أو لغواً الفضول، (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا).

- عامة أهل الجنة إذا حفظوا أسماعهم من اللغو والتأثيم عوضوا والتعويض (إِلاَّ قِيلا سَلامًا سَلامًا) الذين هم أرقى من ذلك، لا يسمعون في الدنيا إلا ذكر الله، وذكر النبي ﷺ، فإنهم يعوضون يوم القيامة ليس من الملائكة (سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)، لكن الثلة المميزون يسمعون الكلام من (سَلامٌ قَوْلا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ) الله يجعلنا منهم.
- المولى هو الذي يقول لك سلام، والأعجب من ذلك كن في الدنيا وحاول في الدنيا أن تخاطب الله، والنبي ﷺ في مناجاته (اللهم أنت خلقتني وأنت تهديني وأنت تطعمني وانت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني وأنت على كل شيء قدير) أنت، خطاب، بل علمنا حتى في طعامنا (الحمد لله الذي أطعمنا) وفي الكساء (الحمد لله أنت كسوتني).
- وقد نهى الله أن ننهر السائل أو تراه يفعلها معك ينهرك وقد سألته؟ عندما تخاطبه وتبث شعورك نحوه فإنك بالمقابل ستسمع منه، تقول يا رب أنا كنت مشتاق إليك فيقول لك (وأنا كذلك مشتاق للقائك).. أحيانا الإنسان يغلب عليه حنينه إلى الله رغم الدنيا ومشاغلها، تكون لها سلطنة وجذبة قوية تقود صاحبها إلى الركون إلى الله، فجأة يجد حنيناً إلى الله ولا يجد نفسه إلا وهو ساجد أو قام يتوضأ ويصلي ركعتين في جوف الليل، وربما قبلها عصى، وهذا حنين الروح وأنينها وشوقها.. استغل الفرصة الخط قد فتح وحصل الاتصال فتح لك الخط فاستغل والدقائق لا تقدر بالأثمان، الدقيقة هذه لا تساويها عالم الدنيا والآخرة مع الله. (وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) اجعلني من أشد المؤمنين حباً لك في خير ولطف وعافية لا تمر عليها مرور كرام.
- يقول الإمام الغزالي: "والثاني أن ذلك يهيج الخواطر والوساوس...وبالله التوفيق".
- كيف تصون سمعك؟

❖ أولاً: تحاول أن تجعل لأذنيك نصيباً من سماع القرآن لأنك أمرت بأن تستمع إليه وتنصت، لأن لذلك أثراً.

- وأنت عندما تقرا، تسمع قراءتك، تقرأ بلسانك وتنظر بعينك، اشتركت الجوارح في تلاوة القرآن، وإذا حملته تنوي تعظيمه، تثاب على حمله.
- من هنا تعي معنى قول النبي ﷺ: (إني أحب أن أسمعه من غيري) لا يحبه لهوى، مش مجرد أحب فقط هكذا، لأن لذلك أثراً. عندما قرأ عليه سيدنا ابن مسعود تصببت عيناه دموعاً، وبكى

ﷺ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا) يقول ابن مسعود: "فرفعت رأسي فإذا به عيناه تذرفان بالدموع" من كثرة الدموع التي تجمعت تحادرت الدمعة بعد الأخرى، تذرفان بالدموع. الدموع تتساقط وتسيل، التساقط حزن ساعة والسيلان حزن عميق. كانت دموعه تسيل.. ابتلت لحيته من السيلان، ظهر ذلك دموع الرحمة الشفقة على الأمة، مع أنه أنزل على قلبه، سمعها من غيره حركت معنى أو أظهرت معنى نقلها لنا ابن مسعود قال الله له: (إنا سنرضيك في أمتك ولن نخزيك) صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

❖ ثانياً: الذكر الخفي، هو أن تكون ذاكراً لله والناس لا يدرون بذلك وسط مليون شخص، خفي عمن حواليك، بمعنى أن تكون ذاكراً لله بلسانك وبقلبك، والقلب مع اللسان.

- والذي يعينك نكرر ذكر (الله معي، الله حاضري، الله ناظري، الله شاهدي، الله قريب مني) يحتاج بس هذا إلى ممارسة.. يحتاج إلى متابعة واستمرار حتى يتمكن هذا الذكر الخفي.. تكون في خلوة ولو وسط مليون شخص، الله يكرمنا وإياكم.
- وأنصحك أن يكون معك في جيبك سبحة فهي نعم الجليس تؤنسك وهي تساعدك وتذكرك بالله.

❖ ثالثاً: مما يعينك على صون سمعك هو استحضار قلبك لحظة مسح الاذنين في الوضوء، والكثير من الناس يمسح أذنيه بلا حضور، لا يتوقف فيها، الإمام الغزالي يقول: إذا مسحت أذنيك فقل: "اللهم أسمعني منادي الجنة في الجنة".

❖ رابعاً: أن تكون في مجالس العلم، ومجالس الذكر، الحضرة، المولد، البردة في غيرها، لا تشتغل بغير ما أنت فيه، لا تشغل سمعك، فإن الله يعطيك كرامة في ما بعد المجلس أن يحفظ سمعك، تحضر مجالس الخير والنور والعلم وتستمع لغير ما يلقى إليك تستمع لنفسك وشيطانك.

❖ خامساً: تحاول أنك تُسمع معلمك أو شيخك أو من يدلك على الله كلاماً طيبا وتنوي بأن الله يسمعك كلاماً طيبا لأن الجزاء من جنس العمل، من جملة ذلك أن تقرأ عليه وهو يسمعك، تقرأ على شيخك قرآناً أو كتاباً أو رسالةً أو تنشد أمامه.. فيكون المقابل بسماع أفضل وأعظم.

- إذا أردت أن تستيقظ لصلاة الفجر يكن قلبك يقظاً بذكر الله.. يعطيك تنبيهاً والقلب يعطيك دقة في الاستيقاظ.. الله يكرمنا وإياكم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وجزى الله عنا سيدنا الإمام الغزالي وسيدي الحبيب حسين خير الجزاء ونفعنا بعلومهما في الدارين